النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا — موجة ((الرواية الجديدة))

تتعهد « منشورات منتصف الليل » Editions de Minuit لونا خاصا من الرواية يطلق عليه اليوم اسم « الرواية الجديدة » ، ويشارك في انتاجها بعض الادباء الشباب من الذين لهم نظرية خاصة في الكتابة ورؤية خاصة للعالم . وابرز هؤلاء الروائيين الين روب غرييه

كلود سيمون — الين ــ روب غرييه

وصموئيل بيكيت وناتالي ساروت ، ومبشال بوتور ، وروبير بينجيه وكلود سيمون .ولا شك في ان مدير هذه المنشورات ، جيروم ليندون ، قد ساعد كثيرا على تشجيع هذا الجيل ونشر انتاجه ، بالرغم من ان رواج كتبه محدود وان مايعود به لايعتبر من قبيل الربح .

والواقع ان ليندون يهتم بالغ الاهتمام بمادة الكتاب ومضمونه ، وهذا ما جعله يقدم على نشر كتابين هامين ك«الجلادون» (١) و « الفنفرينا » اللذين صودرا فور نشرهما ، ذلك انه اراد ان يدافع ، حين نشرهما ، عن حرية التعبير التي هي في رأيه « علامة الحضارة » .

ويجمع النقاد الفرنسيون بعد ذلك على ان هذه الكتب ، واكثرها روائي ، تتميز بميزات خاصة هي التي تجعلها مدرسة قائمة بذاتها ، واولى هذه الميزات انها روايات « صعبة » بالاجمال : صعبة في اسلوبها المخالف للمألوف من طرق الكتابة الروائية ، وصعبة الفهم لدى القراء .

وقد القى كلود سيمون ، احد رواد هذه المدرسة (٢) محاضرة هامة على مدرج السوربون منذ اسبوعين ، شرح فيها مفهومه للرواية ، وبداها بالاشارة الى انه عانى كثيرا اذ فكر في الموضوع «لانني لا اهتم بالافكار وليس في رأسي افكار . » وذكر انه قرأ كل ماكتبه جان بول سارتر عن الكتابة والرواية ومفهوم الادب ، فوجد انه يخالفه في رأيه الى ابعد الحدود ، ويأخذ عليه انه يريد ان يقيم الرواية والبحث الادبي على عبارة « المعنى » وان عمل الاديب يتجه قبل كل شيء الى المعنى والمغزى. والمعنى ، في رأي كلود سيمون ، تفسير للاشياء يريد ان يثبت ان للعالم معنى ، في حين انه يرى ، كفنان ، ان العالم لايستطيع ان يكون له معنى : « ويخيل الي ان العالم اذا كان يعني شيئا ، فهو انه يعني لاشيء ! »

ولا يوافق كلود سيمون على ان يكون الادب مفيدا ، وان يخدم شيئا ، أي الثورة ، ويقول منتقدا ذلك : « لنستعرض ماحدث ! في عام ١٩٤٥ انتهت الحرب ، وكان في البرلمان الفرنسي اكثرية يسارية مطلقة ، واخذ سارتر وكامو يكتبان عن « معانيهما » ليكونا « مفيدين » لطبقة العمال .. فماذا نجد بعد خمسة عشر عاما من ذلك ؟ سلطة تنزلق الى الديكتاتورية وحروب استعمارية ، وعهد من التقهقر الاجتماعي .. » ويقول كلود سيمون بعد ذلك « الحق ان الفن لاينتظر من الحياة الا الحياة نفسها ، ولا يبحث عن مكافأته الا في ممارسة ذاته . والفن بطبيعته « اناني » وغير اجتماعي اي انه يسخر من تعكير راحة الناس او مساعدتهم على الارتقاء بانفسهم، وهو لا اخلاقي بتمجيده للحب ! »

ويستشهد المحاضر « بمدام بوفاري » لفلوبير ، وهو يرى انه ليس دراسة اخلاقية عن الزنى ، وانما هو تعبير عن طريقة خاصة وفريدة لان يكون المرء « حسيا ، في العالم ، وان يدركه بحس لم يكن يملكه الا غوستاف فلوبير الذي يقول « ان مدام بوفاري هي أنا » .

وعلى ذلك يكون دور الفنان الوحيد ، وحظه الوحيد بان يجد مادة الواقع « المشتركة والخالدة » ، « ليس بان يعطي للاحداث معناها ، وانما يعبر عن وزنها ولحمها وعطرها . » ويقول كلود سيمون : « انني احب كل شيء ، امرأة ، وحصى ، ونبتة عشب .. » والسؤال الذي يطرحه الكاتب على نفسه حين يكتب ليس هو « لماذا اكتب ؟ » وليس هو سؤال سارتر « لمن أكتب ؟ » (وهو في رأي الكاتب سؤال يجر العقم ..) ،وانما يتساءل عن « كيف الاشياء » ــ كيف هي ، لا كيف تحدث .

اما الين روب غرييه ، مؤلف «المماحي» و «الرائي» و « الليبرنت » و « الغيرة » ــ وهذه اخر رواية صدرت له ــ فليست له آراء مخالفة لزميله كلود سيمون ، وقد كتب مرة يقول : « الكاتب هو من ليس لديه شيء يقوله ، ولا ادري لماذا لم يرق هذا التعريف كثيرا للناس ... »

ولعل بالامكان القول ان موجة « الرواية الجديدة » هي بعث لنظرية « الفن للفن » التي كان الجيل الماضي من الادباء يظن انه قد دفنها الى الابد ...

ايطاليا — ((سام)) مورافيا

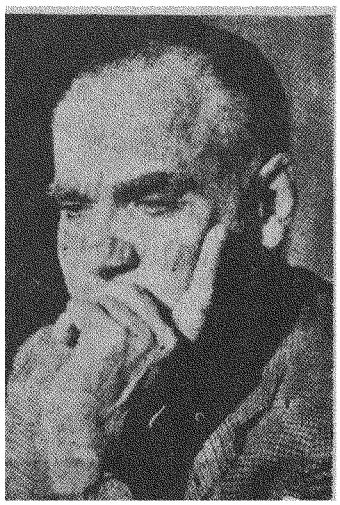

بعد ثلاثين عاما من صدور رواية البرتو مورافيا الاولى « اللامبالون » ، يعود الكاتب الايطالي الكبير الى تحليل مرض الازمنة الحديثة الذي يكمن في استحالة اقامة علاقة مع الاشياء والاخرين والذات ، هذا المرض الذي حلله سارتر في « الغثيان » وكامو في « الغريب » ، ويحلله مورافيا الان في رواية جديدة صدرت اخيرا في روما بعنوان « السام » La noia

دينو رسام فاشل ، ولكن اخفاق فنه ليس الا نتيجة ثانوية لفقد حس الواقع . اما الاساس فيكفي طبعا لنزع اي قيمة ميتافيزيقية «للسأم » . فام دينو غنية جدا ، وعبثا ما رفض هباتها واكتفى بالعيش الاسن في مرسمه المتواضع ، فقد كان يعلم جيدا ان المرء حين يكون غنيا ، يظل غنيا ولو عاش عيشة الفقراء . والمؤلف يصف تأثير المال على حس الواقع وعلى حب الابن لامه ، ويحلل لا جدوى هذه الادوية المصطنعة ، ولجوء

(١) نشرته دار الاداب في السنة الماضية ، ترجمة عايدة وسهيل ادريس

(١) اخر رواية له « طريق الفلاندر » .

دينو الى قسوة سادية نحو سيسيليا ، عشيقته ، .

وبعد مئة وخمسين صفحة تنعطف الرواية انعطافا مفاجئا ، فيكتشف دينو ان سيسيليا تخدعه ، فاذا بسأمه يتركه . والجديد في الموضوع هو وصف تطور الشهوة الجنسية وصفا مدمرا . فليس بين دينو وسيسيليا حب ، فهي تنتقل من رجل الى اخر باسمة غامضة ، ودينو انما يتعلق باللذة الجسمية ولا يهمه شيء اخر . فالكلمة المفتاح ليست هي اذن « السأم » وانما « التملك » . وليس المرض هو الشعور بالعبثية، وانما استحالة التملك . فدينو يفهم انها لاتخصه ، ولن تخصه ابدا . ويحدث له حادث اصطدام ينقذه من البلاهة . وحين يتمدد في سريره بالمستشفى يتأمل شجرة ويدرك بصفاء عذب انه ينفصل نهائيا عن سيسيليا .

وقد اثارت هذه الرواية ضجة كبيرة في الاوساط الادبية بايطاليا واعتبرها بعض النقاد من اجمل ماكتب مورافيا ، وان كان البعض الآخر اخذ عليها مآخذ كثيرة منها ان واقعيتها مجانية في اكثر من موضع .

الاتحاد السوفياتي « نهر الدون الآمن »

يقر مؤرخو الادب السوفياتي الحديث ان رواية « نهر الدون الامن »(1) لميخائيل شولوخوف هي من اروع آثار الانتاج الروسي المعاصر ، ان لم تكن اروعها على الاطلاق . وحين تذكر هذه الرواية يذكر في مقابلها « الدكتور جيفاغو » لباسترناك الذي اتم مع شولوخوف الحوار الذي بدأ بين تولستوي ودستويفسكي ، والذي يقسم روسيا الى معسكرين غير قابلين للانسجام ، معسكر الواقعية ، ومعسكر المغامرة . ولا فائدة من الاشارة الى اوجه الشبه بين « الدون الآمن » و « الحرب والسلم »: كثرة الاشخاص والاحداث وتداخل الحياة العامة بالحياة الخاصة ، واتساع رقعة الاوصاف وصراحتها .. ولكن المفيد ان يتساءل القارىء بعد ان وصف شولوخوف تغيرات الشعب الروسي بين ١٩١٢ و ١٩٢٢ ، لماذا لم يختر العاصمة كمركز للاثارة ، كما فعل تولستوي ، بل اختار قرية تاتارسكي القوزاقية الممتدة على ضفاف الدون ؟ الواقع ان القوزاق كانوا دائما ينعمون باستقلال ذاتي جعل القياصرة يقرون لهم ببعض الامتيازات . فقد كانوا معادين للسلطة المركزية ايا كانت هذه السلطات ، وقد بدأوا بمعارضة حكومة لينين ، وقد وجد معاكسو الثورة خلفاء فيهم ، وهنا يبدو ما اغرى شولوخوف : احداث القرية الصغيرة المتمردة على البولشفيك ، هذه الاحداث التي تعكس وترمز الى العقبات التي كان من اهداف الثورة ان تزيلها ..

وتصف « الدون الامن » الموقف المتردد الغامض الذي يقفه جزء من الشعب الروسي اثناء السنوات الحرجة ، لاسيما وان شولوخوف اتخذ كبطل له رجلا منقسما ومتوزعا . والواقع ان غريغوري ميليخوف يختصر في شخصه تناقضات قريته وطبقته . وهو ابن فلاح متوسط . والجزء الاول مخصص كله تقريبا لقصة الحب الذي يربطه قبيل الحرب باكسينيا ، امرأة جاره الجميلة الملتهبة . حب كلي نقي يثبت ان غريغوري ليس من طينة عامة ـ فهو لا يخشى المنافس ولا الفضيحة ـ ولكنه يظهر ايضا جنون طاقة تتاكل نفسها بصورة عابثة ، على هامش القوانين المدنية والاخلاقية (تحطم بيت اكسينيا ، واضطرارها الى مغادرة قريتها والعمل كخادمة في بيت مجاور ، اما الولد الذي رزقته من غريغوري فيموت) وموهبة شولوخوف الكبيرة تكمن في انه استطاع ان يصور في وقت واحد جمال عاطفة « رومانتيكية » وبؤسها . ومفهوم ان المؤلف اذ ينتقد الرومانتيكية ، انما يقصد اشكال الثورة التي تخفي

شولوخوف

هيجانا عقيما تحت قناع الاستقلال .

صحيح ان غريغوري يعشق اكسينيا عشقا جنونيا ، ولكن حين تطلب منه ان يهرب معها، يكون رد فعله شديدا. «أأنا اترك قريتي وارضي ؟ انك حقا بلهاء ! » انه متعطش للحرية ولكنه يخضع لرغبة ابيه بان يزوجه ابنة فلاح ثري ، ناتاليا كوروشونوف التي لا يحبها . وهو يستمع الى الدعائيين الحمر ، والى كارانجا الذي ينزع منه جميع افكاره القديمة عن القيصر والوطن وواجبه كقوزاقي ، والى بودتيولوكوف الذي يعرض له ضرورة اقامة سلطة شعبية ، ولكنه يحس بالعجز في اختيار طريقه وينتهي به الامر الى الانحياز للبيض . وبالامكان رسم صورة مزدوجة لميليخوف ، الاولى ايجابية تماما (فهو صاحب شخصية ، وهو حر وشجاع ومنفتح الفكر) والثانية سلبية تماما (فلاح محدود ، وعاشق اناني وطموع وقذر ...) وبالرغم من انه يتفوق على مستوى متوسط الفلاحين بميزاته الخاصة ، فهو يضيع نفسه بطريقة استعمال هذه الميزات . ولكن الخطأ يعود الى غريغوري بقدر ما يعود الى النظام الفردي والفوضوي الذي كان قائما في القرى قبل الثورة . فليست الغرائز السيئة هي التي تستطيع فقط ان تنتشر فيها ، ولكن الاشخاص الشرفاء القادرين لا يجدون الا اعمالا لا يرضون عنها . فسوء النظام يحول اشخاص النخبة الى اشباه « هملت » ممزقين بقدر ما هم هدامون . وهكذا يكون الانسان ، خارج الاشتراكية ، ذئبا بالنسبة للانسان . ذلك هو المنطق الذي لا هوادة فيها والذي هو اساس رواية « الدون الامن ».

ومع ذلك ، فليست هي رواية « فكرة » ، ان غريغوري الذي خدع زوجته واساء الى شرف عشيقته ، وانتقل من الحمر الى البيض ، وفر من قريته حين اكتسحته الثورة اخيرا وانهى حياته في اللصوصية ، يحتفظ حتى النهاية بسماته المحببة . « ماذا تريدون ، انه هو نفسه لا يستطيع ان يحب نفسه اكثر من مرة في العام . » ولئن لم ينس شولوخوف انه كاتب سوفياتي (فقط سقط غريغوري اخيرا ، ولم يكن في سقوطه ما يثير حوله اي عطف ، في حين تعود الكرامة والغار الى القرية التي تتحالف مع الشيوعية) . فانه يحافظ محافظة شديدة على ميزاته كفنان . ان لجميع البولشفيك الذين يصورهم سمات سلبية، ولعل اصالة شولوخوف الرئيسية ، اذا ما قورن بغوركي (رواية الام) او فادييف (الهزيمة) تكمن في انه يشعر القارىء بنبل المثل الاشتراكي، لا من خلال عمال او حزبيين متحمسين يكونون مجرد ابواق للمؤلف فلا يحملون الاقناع الكافي ، وانما بواسطة التصوير الدقيق المتنوع لالوان الصراع التي يثيرها الانقلاب الروسي في قلب فلاح لم ينل اية تربية سياسية ـ وان ينتهي شولوخوف الى جعل ميليخوف يسقط ، ذلك عمل روائي عظيم . ذلك ان هزيمة انسان موهوب جدا تدل على قيمة الثمن الذي كان على الشيوعية ان تدفعه للنصر . ان القارىء بعيد عن روايات الكشافين السوفياتيين ، التي ينجح فيها حزبيون كادحون ذوو عيون زرقاء بافراغ روسيا من الخونة .. على العكس من ذلك، فان القارىء لا يجد لدى شولوخوف قصة عاطفية مزيفة ولا تشاؤما عقيما ، وانما رؤية صافية للتغييرات التي يجب ادخالها على الارياف حتى لا تكون السعادة فيها بعد خداعا ، ولا البؤس قدرا ..

سواء كانت رواية « الدون الامن » سياسية او اقليمية ، فانها اثر متزن ، كامل ، نموذجي .

(1) رواية في ثمانية اجزاء ترجمت الى الفرنسية وصدر منها حتى الآن اربعة اجزاء .